اللوبى الاسرائيلى والسياسة الخارجية الأميركية

الدكتور البير رحمة

– الدراسات الامنية -عدد2010/43

يشكل اللوبي الاسرائيلي مادة دسمة لكثير من الساسة والمفكرين والمهتمين بالشؤون السياسية لما له من تأثير بالغ الأهمية على صنع القرار السياسي الأميركي إن في الداخل أو في رسم السياسة الخارجية . يقوي أجهزته لا سيما السياسية والاقتصادية والفكرية والمالية والاعلامية ... لتوجيه سياسة أميركا الخارجية بما يتلاءم وأهدافه الاستراتيجية البعيدة الأمد في دول الشرق الأوسط والعالم .

الاشكالية المطروحة في هذا البحث : كيف يؤثر اللوبي على صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة الأميركية لاستثمارها في الخارج ؟ تنطلق هذه الاشكالية من **فرضيات** لا سيما منها إن المجموعات والأفراد الذين يشكلون اللوبي هم في مواقع مهمة للتأثير في السياسة الخارجية للولايات المتحدة . **يعمل اللوبي الاسرائيلي من خلال مجموعات الضغط بهدف خدمة اسرائيل في الدول التي تجدها ملائمة لمصالحها** . وتتفادى الدول التي لا مصلحة لاسرائيل فيها ، ولا تعيرها اهتماماً لكسب الوقت . فيحدد اللوبي البلد الذي يجد مصلحة اسرائيل فيه ويبدأ **بالتكتيك السياسي المباشر وغير المباشر للتأثير عبر أطراف مترابطة للوصول الى الغاية المرجوة** .

فا**للوبي الاسرائيلي في الولايات المتحدة من أقوى جماعات الضغط في البلاد، له تأثيره الكبير على السياسة الخارجية الأميركية بالرغم من قلة عدده مقارنة بالتجمعات العرقية الأخرى في الولايات المتحدة.** فهناك مجموعات اتنية يفوق عددها بكثير عدد اللوبي الاسرائيلي ، إلا أن هذا الأخير **جيد التنظيم والتمويل، واستطاع أن ينشئ له منظمات تدير أعماله مثل منظمة "إيباك" التي يجتمع عليها يهود الولايات المتحدة ويستطيعون من خلالها أن يؤثرون في صنع القرار الأميركي .**

اللوبى الاسرائيلى وصياغة أنماط التأثير

يمثل اللوبي الإسرائيلي قوة أسياسية في عملية صنع القرار الأميركي ، مع الأخذ في الاعتبار أن النظام السياسي والقانوني الأميركي يسمح لكل المواطنين الأميركيين حق التنظيم السياسي بهدف التأثير على السياسة الأميركية في نطاق الديمقراطية وحرية التعبير. نجد أن تأثير اللوبي الإسرائيلي قد نجح في الحد من النقاش المثمر عن مستقبل السياسية الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط بهدف الحفاظ على استمرارية

الدعم الأميركي لإسرائيل بصرف النظر عن المصالح الأميركية .هذا النجاح ، يُنسب لنفوذ اللوبي داخل الهيئة التنفيذية في الإدارة الأميركية من خلال أفراد متعاونين أو متعاطفين مع مؤسسات اللوبي ، والهيئة التشريعية من خلال ضغط اللوبي على أعضاء الكونغرس بواسطة التبرعات المالية ، أو تهديد نجاحهم في الانتخابات.

ومن المكونات التي تزيد من موقع اللوبي المؤثر في السياسة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر(1) :

1- اللوبي الاسرائيلي هو المسؤول عن صنع وصياغة السياسة الخارجية الاميركية (خصوصاً في الشرق الاوسط وتحديداً في فلسطين والعراق ولبنان والسودان) وعليه يقع اللوم لمثل هذه السياسات.

2- اللوبي هو وراء فشل السياسات الأميركية في الشرق الأوسط .

3- تناقض الدعم الأميركي لاسرائيل مع المصالح الاستراتيجية الأميركية ، وعليه فإن اللوبي يتصرف أحياناً بما يضر المصالح الاميركية .

4- المغالاة في قوة اللوبي الاسرائيلي ودوره.

5- اللوبي يخدع صانعي السياسة الأميركية ويتحكم في وصول المعلومات اليهم من خلال التحكم بوسائل الاعلام ومراكز الأبحاث والتعتيم على المصالح العربية ...

6- كلفة اسرائيل العالية على الاقتصاد والميزانية الأميركية .

وعليه ، تعالج هذه النقاط من خلال قسمين . نتعرف في القسم الأول على مقومات اللوبي ، مصادر قوته ، هيمنته ، أنماط سياسته ، تأثير الفكر على السياسة ؛ ونتابع في القسم الثاني مع اشكالية تفوقه في صنع القرار الأميركي ،الى الموقع الاستراتيجي في ميزان القوى .

اللوبي وأهدافه الاستراتيجيته

يهدف اللوبي الاسرائيلي في الولايات المتحدة الى ممارسة الضغوط على هذه الأخيرة لقبول الأولويات الاسرائيلية التي تحددها الحكومة الاسرائيلية أياً كان نوعها, فقبل احدى الانتخابات الاسرائيلية قال أحد أعضاء اللوبي الاسرائيلي لصحيفة "جيروزالم بوست" الاسرائيلية : اذا فاز تحالف العمل في الانتخابات الاسرائيلية وأقدم على تغيير السياسة الاسرائيلية فاننا سوف نؤيده, واذا فاز حزب الليكود واتخذ مواقف متشددة تجاه عملية السلام فاننا سوف نؤيده ايضا ونتكتل وراءه .

المفارقة التي يمكن طرحها **: كيف تخضع الولايات المتحدة- الدولة العظمى في العالم- لسياسة اللوبي الاسرائيلي الذي نجح في اقناع الادارة الأميركية بأن اسرائيل دولة متفردة لها متطلبات خاصة ومستثناة من جميع القواعد الدولية التي تخضع لها دول العالم .**

إن عبارة **اللوبي الاسرائيلي** تختزل **الائتلاف لأفراد ومنظمات تعمل بنشاط لصياغة السياسة الخارجية الأميركية في اتجاه موالٍ لاسرائيل . فاللوبي ليس حركة وحيدة موحّدة ذات زعامة مركزية، فالأفراد والمنظمات الذين يشكلون هذا الائتلاف الواسع يختلفون أحياناً على مسائل سياسية محددة . يعمل اللوبي في العلن ، ويسعى بجهوده كافة للتأثير في السياسة الأميركية . غايته المعلنة تشجيع الادارة الأميركية والجمهور الأميركي على توفير مساعدة مادية لاسرائيل ودعم سياسات حكومتها (2) .**

يتّبع اللوبي الاسرائيلي **استراتيجيتين لتفعيل الدعم الأميركي لاسرائيل** : **الاستراتيجية الأولى** يقوم بها اللوبي باستخدام تأثيره الهام في واشنطن والضغط على الكونغرس والفرع التنفيذي لدعم اسرائيل . و مهما كان رأي المشرّع الأميركي أو صانع السياسة فانّ اللوبي الاسرائيلي يحاول ان يجعل خياره في دعم اسرائيل "الخيار الأمثل والأذكى". **الاستراتيجية الثانية** يكافح اللوبي فيها للتأكد من أنّ صورة اسرائيل لدى

العامة ايجابية ، ويتم ذلك عبر تكرار الأساطير المتعلّقة باسرائيل وتأسيسها وبجعل اسرائيل حاضرة لدى العامّة وفي النقاش السياسي، والهدف من ذلك عدم افساح المجال أمام أي رأي نقدي او تعليقي بأن يحظى بفرصة ليتم سماعه في الوسط السياسي (3) ، لذلك فالتحكّم بالنقاش ضروري للمحافظة على دعم أميركا لاسرائيل لأنّ النقاش لو كان مفتوحاً حول العلاقات الاسرئيلية - الأميركية لربما قاد الأميركيين الى التعامل معهم بطريقة اخرى .

يتألف معظم اللوبي من يهود أميركيين ملتزميين بالعمل والضغط من أجل أن تتبنى السياسة الخارجية الأميركية ما يعتقدون أنه من مصالح اسرائيل .يضم أكثر من 75 منظمة منفصلة معظمها يهودية تدعم بنشاط كل ممارسات الحكومة الاسرائيلية ومواقفها السياسية . فالروزنامة السياسية هي التي تحدد اللوبي وليس الهوية الدينية او الاتنية للذين يدفعون به (4) . يضم اللوبي من التنظيمات الرئيسية ايباك ، المؤتمر الأميركي اليهودي ، المنظمة الصهيونية في أميركا ، المنتدى السياسي الاسرائيلي ، اللجنة الأميركية اليهودية، الرابطة المناهضة للتشهير ، مركز العمل الديني للاصلاح اليهودي ، الأميركيين من اجل اسرائيل آمنة ، أصدقاء الليكود الأميركيين ، ويضم أيضاً مراكز فكر وأبحاث مثل "المؤسسة اليهودية لشؤون الأمن القومي" و"منتدى الشرق الأوسط" و"معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى" بالاضافة الى أفراد يعلّمون في الجامعات. ان **الايباك هي الأهم والأكثر شهرة ، والأكثر تأثيراً على الكونغرس** ، واعتمدت بصفة عامة "قواعد كينن" وهو مؤسس الايباك في تقديم قضية اسرائيل . وازداد حجم اللوبي ونفوذه في شكل كبير بعد حرب الأيام الستة في العام 1967 . وساهم اللوبي بتحفيز أميركا على دعمها المطلق والثابت لاسرائيل ليتطابق مع المشروع الاسرائيلي في صيغته الأصلية المتسمة بالتوجه التحديثي ولتغليب الخيار الاسرائيلي الأصولي (5) .

أظهرت الدراسات والأبحاث التي تناولت ماهية اللوبي وأهدافه الاستراتيجية (6) التي ينفذها على المدى الطويل أنه يتمتع بمقومات تسمح له أن يكون في الطليعة ، ولديه القضية التي يدافع من أجلها ، وبالتالي يتوفر له الدعم الكامل الذي يسمح له بتنفيذ ما يخطط له . **وتبدو أميركا أحياناً أنها ليست متفردة في السياسة التي تنتهجها (وهي دولة عظمى) في صناعة قرارها السياسي بل هي مدفوعة في ذلك من قبل قوى أخرى.**
وعليه، يجدر بنا، قبل البدء في بحثنا هذا ، التعرف ولو سريعاً على أهداف السياسة الخارجية الاميركية.
تهدف السياسة الخارجية الاميركية ، من خلال التجارب التاريخية ، الى تحقيق هدف مزدوج : الأول : الهيمنة الكونية على إقتصادات وموارد العالم خصوصاً العالم الثالث ، عالم الفقراء ومجتمعات الجنوب واستغلال مواردها وإن إقتضى الامر فاحتلال أراضيها بقوة السلاح كما هو حاصل في العراق اليوم، من أجل تحقيق الربح المنفلت من الاعتبارات الانسانية والاجتماعية والأخلاقية والمحتكم لمعايير الربح الاقصى وحدها . والثاني ابقاؤها كأسواق استهلاكية لمنتجات مركز رأس المال العالمي ، مما يعني حرمانها من آليات التطور وتحقيق الاكتفاء الذاتي كما برهنت تجارب عدد من القيادات الوطنية في غانا نكروما ومصر عبد الناصر وعراق صدام حسين.
وعليه، يمكن ايجاز مكونات هذه السياسة في العالم والشرق الاوسط في العناصر التالية(7) :
1- النفط (مصادر الطاقة) ومخزونه وتسعيره .
2- المصالح الاقليمية في الوطن العربي والتي تتمثل في حماية الأنظمة العميلة والقواعد العسكرية الأميركية التي تقوم ، بالاضافة الى حماية المصالح الاقليمية ، بتقديم التسهيلات (الاستراتيجية والعسكرية اللوجستية) لخدمة المصالح الاميركية .
3-المصالح الاستراتيجية للامبراطورية الأميركية وهيمنة رأس المال .

فالسياسة الخارجية الاميركية لا تخضع لاعتبارات واتفاقيات دولية إلا بمقدار ما تخدم هذه ديمومة هيمنتها واستئثارها بالقرار الدولي وتسخيره لخدمة مصالحها واستراتيجيتها الكونية. فهي لا تحترم الشعوب ولا حقوق الانسان، ولا تأبه بالقانون الدولي ولا بهيئة الامم المتحدة ، ولا يسري هذا على العرب والفلسطينيين وحدهم بل على الشعوب كافة (على سبيل المثال كوبا وكوريا واندونيسيا وشعوب أميركا اللاتينية وغيرها). تقف خلف هذه السياسات بنية فوقية تتمثل في شبكة معقدة من الآليات والنظم والاجهزة الايديولوجية (مؤسسات الاعلام والثقافة والتربية والتعليم والمنظمات الدينية ومؤسسات المجتمع المدني وغيرها من أدوات التثقيف الشعبي وصياغة وعي الجماهير والقمع الايديولوجي) لتطال مرافق الحياة وأنشطة المجتمع كافة . ويصح التساؤل : لماذا يُقدِم صانعو السياسة على الخيارات التي يقدمون عليها ؟ لماذا تبدو بعض المسارات أشد جاذبية بنظرهم من مسارات أخرى ؟ هذا لأن أُطر صنع القرارلها علاقة بمؤسسات اقتصاد سياسي معين وهي التي تحدد المسارات التنموية المختلفة وهذه الحوافز لها موقعها وانعكاسها لعلاقات القوة.هذا ما يتوافق مع الرأي القائل بأن "اسرائيل تظهر وتطور صراعات وتطورات على خلفية الفوارق الاقتصادية بين شرائح مختلفة ... وخاصة بين الفلسطيني واليهودي" (8) .

مصادر قوة اللوبي واستراتيجية النجاح

السؤال الذي يمكن طرحه : **من أين يستمد هذا اللوبي القوة التي يتمتع بها والتي تمكنه من التأثير في عملية صناعة القرار في السياسة الخارجية الأميركية ؟ من جميع الوحدات الداخلية الرئيسية التي تشكل معادلة صنع القرار الأميركي** بدءاً من البيت الأبيض وكبار المستشارين والكونغرس إلى الشبكة المعقدة مع المركب الصناعي العسكري من خلال الإستثمارات العسكرية والصناعية التي لها التأثير الفاعل ، بالإضافة إلى السيطرة على العديد من وسائل الإعلام بغالبيتها بهدف التحكم في صناعة المعلومة و ترويجها للرأي العام الأميركي الداخلي والدولي . إنطلاقاً من هذا، فإن المال هو عصب تأثير اللوبي على القرار السياسي الأميركي لأنه يستطيع التحكم بالأفراد والمؤسسات التي لها النفوذ الواسع إن داخل أميركا أو في الخارج . هذا الدعم الذي تحصل عليه من أميركا يتناقض مع المصالح القومية لهذه الأخيرة ، ولا ينبع من اعتبارات أميركية إستراتيجية أو أخلاقية ، بل من تغلغل اللوبي الإسرائيلي في أميركا . كما يتمتع اللوبي بقدرة فائقة في التخطيط المنظم لعملياته الأساسية . وتسهل مهمته نظراً لعدم وجود لوبيات أخرى أو غيابها تماما في البلدان الأخرى .

من أين مصادر قوة اللوبي ؟ فللولايات المتحدة حكومة فدرالية ، وتقليد مترسخ من حرية التعبير ، ونظام تكلفة الانتخابات فيه كبيرة جداً وتنظيم المساهمات في الحملة الانتخابية ضعيف . تعطي هذه البيئة لمختلف المجموعات وسائل كثيرة متنوعة للوصول الى السياسة او التاثير فيها . ويمّكن مجموعات المصالح ان توجه المساهمات للحملة الانتخابية الى مرشحين محظيين ، أو محاولة هزيمة مرشحين تشك في وجهات نظرهم . ويمكنها أن تحاول الحصول على تعيين مؤيديها في مواقع حاسمة في صناعة السياسة ، كما يمكنها قولبة الرأي العام من خلال رعاية صحافيين متعاطفين ، وتأليف الكتب ، ومقالات الرأي والعمل على تشويه سمعة كل من له وجهة نظر مختلفة أو تهميشه . وليس هناك نقص في وسائل التأثير في السياسة العامة لدى هذا اللوبي الذي يملك دوافع قوية ويملك موارد كافية (9).

وما يعطيه دفعاً قوياً أنه موجود في بلد يحترم الديمقراطية ، يسمح للمجموعات الصغيرة نسبياً ان تمارس نفوذاً كبيراً اذا التزمت بقوة معينة ولم يبالِ بها كثيراً بقية السكان ، ويتجه أعضاء الكونغرس الى مساندتها لأنهم يثقون بأن بقية السكان لا تعاقبهم على قيامهم بذلك .

يتمتع اللوبي الاسرائيلي بعدد من الأفضليات في المنافسة على النفوذ في الولايات المتحدة . فأبناء الطائفة اليهودية في أميركا لهم مواقع نفوذ في السياسة والاقتصاد ، ولديهم نسب عالية جداً من المشاركة السياسية. ولا يمكن مقارنة اللوبي الاسرائيلي بالمنظمات العربية لأنه من الصعوبة التحدث بصوت واحد حول مسائل

الشرق الأوسط كون العرب يتحدرون من بلدان وخلفيات متنوعة ، ولديهم وجهات نظر مختلفة ومتعارضة في غالب الأحيان . كما لم ينجح العرب الاميركيون في بلوغ مناصب أكاديمية مرموقة في الأعمال ووسائل الاعلام والمناصب السياسية والوظائف المهمة في الدولة ...

يتبع اللوبي استراتيجيات محددة لتحقيق النجاح يمكن تلخيصها في أمرين (10) :

أولاً: إنه يتمتع بسلطة قوية ونفوذ هائل في واشنطن العاصمة ويضغط على الكونغرس والإدارة لدعم إسرائيل . مهما كان الرأي الخاص لأي سياسي أو برلماني من واضعي القوانين، فإن اللوبي يطرح المصلحة الإسرائيلية باعتبارها أولى الخيارات.

ثانياً: يحاول اللوبي التأكد دائماً من أن المناقشات العامة حول إسرائيل تضعها دائما في أجمل صورة وأروع تألق وذلك من خلال تكرار أساطير حول إسرائيل وتأسيسها وإلقاء الأضواء على وجهة النظر الإسرائيلية في أي مناقشات سياسية، والهدف بطبيعة الحال هو منع التعليقات التي تحمل أي قدر من النقد من الوصول إلى الآذان والاهتمام في الساحة السياسية والسيطرة على المناقشات جزء مهم لا يتجزأ من عملية الحفاظ على الدعم الأميركي لأن إجراء مناقشات حرة وصريحة وتحليلية ومحايدة أو موضوعية قد تؤدي إلى أن يتبنى الأميركيون سياسات مختلفة تجاه العلاقات الإسرائيلية – الأميركية.

مدى التأثير الفكري على التوجيه السياسي

تتأثر القيادات السياسية في العالم بما يُقدم لها من دراسات وأبحاث سياسية وفكرية ، هذه الدراسات لها وقعها في صنع القرار السياسي في دولة ما . تؤدي هذه المراكز دوراً هاماً في صياغة وتوجيه السياسة الخارجية الأميركية، كما يبدو أن **اللوبي اليهودي قد نجح في توفير عدد من المؤسسات الفكرية المتخصصة في شؤون الشرق الأوسط .** وتزود هذه المراكز السياسيين بالبحوث والدراسات في كافة أمور السياسة الخارجية دون منافسة تذكر من قبل المؤسسات الأخرى التي تفتقر إلى القدرات المالية والبشرية التي تسمح بالمنافسة الحقيقية في مجال الأفكار والرؤى المستقبلية . هناك مؤسسات أكاديمية تقدم الأبحاث المتخصصة في القضايا السياسية ، ومراكز ضغط سياسية (المراكز الفكرية التي تستخدم الدراسات والبحوث والوسائل الأخرى كطرق ضغط مباشر على الإدارة الأميركية للتأثير على صناعة القرار السياسي فيها). ووجدت مؤسسات الضغط السياسي الفكرية الخاصة بالشرق الأوسط على سبيل المثال لا الحصر **معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى الذي أنشئ العام 1985 ليتبنى الدفاع عن المصالح السياسية الإسرائيلية ودفع قضايا واهتمامات إسرائيل في الإدارة الأميركية ، كما ظهر في السنوات الأخيرة أيضاً المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي Jewish Institute for National Security Affairs الذي يعمل كغطاء للدعاية لإسرائيل في المجالات العسكرية والاستشارات الأمني .**

تدعو هذه المراكز الفكرية الباحثين فيها إلى الكتابة في الصحف والمجلات والدوريات السياسية والعامة ، وتقوم هذه المراكز بإرسال البحوث المختصرة ، وأوراق العمل إلى الصحف الكبرى لعرضها للنشر في هذه الصحف مما يكسب المراكز الفكرية شعبية لدى عامة الناس ، لدعم اسرائيل بطريقة غير قابلة للانتقاد خاصة لدى الساسة الأميركيين (11) .

وتتعدد الوسائل التي تستخدمها المراكز الفكرية في التأثير على مجريات السياسة الخارجية الأميركية ،

وتختلف هذه الوسائل من مركز فكري لآخر ، كما أنها تتغير تبعاً لطبيعة القضية المطروحة ، وكذلك نوعية المخاطب والرغبة المطلوبة في التأثير .

إشكالية تفوق اللوبي

يتمتع اللوبي بقوة التخطيط والتنظيم حول أية قضية يأخذ قراراً بتنفيذها . يجند مختلف أجهزته لدعم القضية كل من موقعه (اللجنة السياسية ،اللجنة الأكاديمية ، اللجنة الاستراتيجية ...) لضمان نجاحها . يسعى بكل الوسائل المتاحة لئلا توضع في موقع النقد من قبل المسؤولين الأميركيين ، ومراقبة ردود الفعل من الذين يضمرون المعارضة لاسرائيل . ورغم بعض تحولات السياسة الأميركية مع الرئيس أوباما إزاء اللوبي لا يزال يحتفظ بقواه التأثيرية التي تخدم استراتيجيته في المناطق التي تتوافق ومصالحه .
كما يعتمد اللوبي على مراكزالتفكير Think Tanks في تشكيل المناقشات والمناظرات العامة، السياسة العامة . ويسيطر على مراكز التفكير في الولايات المتحدة لأنه يعتبرها المؤثر الفاعل لترويج القضية . وأنشأ اللوبي مركزاً خاصاً به العام 1985 هو معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى للقيام بالدراسات الأكاديمية التي تخدم القضايا السياسية .

للسياسة الخارجية الاميركية اهتمام خاص في منطقة الشرق الأوسط كونها تتمتع بأهمية استراتيجية. انما أدّت سياستها هذه في عهد الرئيس بوش بحجة الاصلاح وتحويلها الى مجتمعات ديمقراطية الى ظهور تمرّد ضخم في العراق، ارتفاع حاد في اسعار النفط العالمية وتفجيرات ارهابية في مدريد، لندن وعمّان. يعود هذا الى نفوذ و نشاطات اللوبي الاسرائيلي .

في ما يتعلّق بالفلسطينيين، عندما حاولت الإدارة الأميركية الضغط على الحكومة الإسرائيلية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 لانهاء الصراع ، نجح اللوبي بالضغوط التي مارسها في إيقاف مساعي الإدارة للضغط على إسرائيل بل وتغيير موقفها من التطورات الحاصلة . وبات من المستحيل إنهاء الصراع الإسرائيلي– الفلسطيني دون ضغط أميركي على اسرائيل، وفي حال عدم وجود هذا الضغط فانّ هذا الوضع سيعطي للمتشددين وسيلة فعالة للتعبئة ، كما سيؤدي إلى توسيع اتفاق المتشددين المحتملين . أضف الى ذلك ، الجهود التي بذلها اللوبي ومؤيدوه داخل الادارة الأميركية والكونغرس للتحريض على ضرب واحتلال العراق وإقناع الإدارة والرأي العام الأميركي بهذه الحرب وكيف عارضوا لجوء الإدارة إلى الأمم المتحدة ، وكيف يُخطّط هو وساسة إسرائيل بإعادة تشكيل الشرق الأوسط بعد إسقاط النظام العراقي . وبعد احتلال العراق انتقلت الحملات الى سوريا وكيف تمّ تمرير تشريعات ضدها ودفع الإدارة الأميركية إلى تبني منهج متشدد ضدها على الرغم من تعاونها الكبير مع أميركا في الحرب ضد الإرهاب . ويرى جايمس بتراس "ان دولة اسرائيل هي المستفيد الرئيسي الوحيد من الحرب ضد العراق ، وقد نجحت في حمل الولايات المتحدة الأميركية على تدمير عدوها العربي الأكثر ثباتاً على مبادئه"(12) .

وعليه ، يكمن **نفوذ اللوبي** الاسرائيلي في التالي (13) :
1- أنه يخدم استمرار سطوة ونفوذ المصالح الأميركية ، أي مصالح الطبقة الحاكمة بما تمثله من نظام سياسي واقتصادي وشركات كبرى ومصالح اقتصادية هائلة .
2- فيما تحتله اسرائيل (مركزية اسرائيل) من موقع مركزي وهام في الاستراتيجية الاميركية .
3- مركزية موقعه في لقاء المصالح المتعددة للامبراطورية الاميركية : طالما يتبنى اللوبي سياسات ومواقف تتوافق مع المصالح الاميركية ، فانه يحظى بالدعم الاميركي الذي لا حدود له .
كما **يستمد اللوبي قوته من مصادر غير مباشرة** ، وإن كانت أقل أهمية منها :

1- خلق هذا اللوبي "قوة ظاهرية" تفوق بكثير قوته وقدراته الحقيقية، والعمل على اظهار قوتة الخارقة وحدودها والمبالغة فيها.
2- يظل اللوبي قوياً لانه يعمل دوماً بالتوازي مع مصالح القوى الحاكمة في واشنطن ويكيّف أجندته بحيث تتوافق مع هذه المصالح . أما اذا تناقضت مصالح اللوبي مع تلك المصالح فذلك يؤدي الى اضعافه.
3- الاستفادة من "معاداة السامية" إذ لا يُقدم أي سياسي غربي على توجيه النقد لاسرائيل او اللوبي الاسرائيلي او السياسية الاميركية الداعمة لاسرائيل خشية إتهامه بالعداء للسامية .

يقتضي القول مما سبق ، أن العلاقة بين الولايات المتحدة والأنظمة العربية تشكل تهديداً لا يقل خطورة على هذه الشعوب حيث تقف هذه الانظمة في خط المواجهة الامامي امام شعوبها كي تخوض ضدها حرباً أهلية يومية فتقمعها وتضطهدها وتجوعها وتمعن في إفقارها.
لقد تبلورت وظيفة هذه الانظمة منذ ولادتها بعد تجزئة سايكس ـ بيكو واقتصرت على حماية المصالح الأميركية في العالم ، ومنها الكيان الاسرائيلي . إذ أن الولايات المتحدة تقدم له كل أشكال الدعم وأسباب البقاء في حين تعمل للسيطرة على الموارد والثروات والمواقع الاستراتيجية وغيرها المتوفرة في البلدان الأخرى من ناحية ، وتحافظ على هذه الانظمة من خلال المساعدات لتُبقي شعوبها في حالة الثورات والانتفاضات من ناحية أخرى (14) .
تعتبر اسرائيل منذ حرب اوكتوبر 1973 أكبر متلقّي للمساعدات الاقتصادية والعسكرية الأميركية المباشرة. إذ بلغ حجم المعونات الأميركية المباشرة لاسرائيل حتى العام 2003 ما يزيد عن 140 مليار دولار أميركي . وتتلقى اسرائيل أيضا حوالي 3 مليار دولار كمساعدات أميركية خارجية غير مباشرة تشكّل حوالى خُمس حجم المساعدات الأميركية الخارجية .أي أن أميركا تعطي كل اسرائيلي اعانة مالية تبلغ 500 دولار سنوياً، علماً أن اسرائيل دولة صناعية غنيّة يساوي دخلها تقريباً دخل كوريا الشمالية او اسبانيا (15) . كما تحظى بأفضلية على جميع الدول التي تحصل على مساعدات عسكرية أميركية ، اذ يحق لاسرائيل صرف حوالى 25% من المساعدات العسكرية في قطاعها العسكري داخل اسرائيل لتحسين و تطوير صناعاتها العسكرية بينما لا يحق للدول الاخرى صرف أي نسبة من هذه المساعدات خارج أميركا. علاوة على ذلك ، فانّ اسرائيل هي الدولة الوحيدة التي لا تُسأل عن أماكن انفاق المساعدات الأميركية التي تتلقّاها وكيفية انفاقها ومنها بناء المستوطنات في الضفّة الغربية.

كما تدعم واشنطن اسرائيل دبلوماسياً بشكل دائم ، إذ صوتّت لها منذ العام 1982 الى اليوم 32 مرّة مستخدمة حق النقض الفيتو ضدّ قرارات تدين اسرائيل في مجلس الأمن ، هذا العدد يفوق ما استخدمته جميع الدول التي يحق لها استخدام الفيتو في مجلس الأمن مجتمعة خلال هذه الفترة. وتقوم أميركا أيضاً بصد جميع الجهود العربية لوضع ترسانة اسرائيل النووية تحت رقابة المنظّمة الدولية للطاقة الذريّة .

وفي موضوع سوريا وإيران ، يشير الكاتبان جون ميرشايمر وستيفن والت في كتابهما " اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية" " ... فعداء اللوبي لإيران وسوريا يجعل من الصعب بمكان أمام واشنطن أن تكسبهما في المعركة ضد القاعدة والتمرد في العراق ، في الوقت الذي توجد فيه حاجة ماسة لمساعدتهما". وتلفت الدراسة النظر إلى أن المحاولات الجديدة التي يبذلها اللوبي لـ"تغيير أنظمة الحكم" في إيران وسوريا، يمكن أن تقود الولايات المتحدة إلى مهاجمة هذه البلاد، وهو ما سيؤدي إلى نتائج كارثية في حال حصوله. إن السلوك الأميركي في منطقة الشرق الأوسط تعكس السياسة الداخلية ، وخصوصاً النشاط الذي يقوم به اللوبي الإسرائيلي(16) .

باختصار ، يتجلى نفوذ اللوبي في الولايات المتحدة من خلال أولاً **التصويت** ، إذ يعتبر اليهود

الاميركيون من أكثر الأقليات الاميركية حرصاً على التصويت في الانتخابات, فان حرص اليهود على الادلاء بأصواتهم , يسمح للمرشح باسترضاء اولئك الذين يدرك جيداً انهم سيذهبون الى صناديق الاقتراع, ولا يهمه في المقابل من لا يمكنهم التأثير على مستقبله السياسي . ثانياً **الترشيح للمناصب العامة** ، إذ ينشط اليهود في الترشيح للمناصب على مختلف المستويات التشريعية والفدرالية, فعلى سبيل المثال, وصل عدد أعضاء الكونغرس من اليهود في العام 1994 الى 43 عضواً, الامر الذي يعني بالضرورة المشاركة المباشرة في عملية صنع القرار السياسي عموماً. ثالثاً **التمويل** هذا هو من أخطر ما تمتلك الجماعة اليهودية من أدوات التأثير- تمويل الحملات الانتخابية للمناصب الفدرالية- فنظراً للارتفاع المذهل في تكاليف الحملات الانتخابية , فان المرشح يسعى دوماً الى الحصول على المزيد من الأموال للانفاق على حملته, كما أن القانون به من الثغرات ما يكفي لأية جماعة منظمة لتستغلها .

التأثير على مراكز صنع القرار الأميركي

يحدد الكاتبان ميرشايمر ووالت الطرق التي يتبعها اللوبي الإسرائيلي لتشكيل السياسة الخارجية الأميركية وهي كما وردت في كتابهما "اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية"(17) :

1- التأثير على أعضاء الكونغرس:

إن العامل الرئيسي لفاعلية اللوبي هو تأثيره في الكونغرس الأميركي ، إذ تتمتع إسرائيل عملياً بحصانة ضد النقد . ويعد أحد أسباب نجاح اللوبي مع الكونغرس هو أن بعض الأعضاء الرئيسيين في الكونغرس هم من المسيحيين الصهاينة ، مثل ديك أرمي الذي قال عام 2002: "إن أولويتي في السياسة الخارجية هي حماية إسرائيل ، رغم أن المرء قد يعتقد أن الأولوية لأي عضو في الكونغرس يجب أن تكون حماية أميركا"(18) .

هناك أيضا أعضاء من الكونغرس ومجلس الشيوخ من اليهود، يعملون لجعل السياسة الخارجية الأميركية تدعم مصالح إسرائيل. ويُعد الموالون لإسرائيل من العاملين في الكونغرس مصدراً آخر لقوة اللوبي .إن "إيباك" هي التي تشكل مركز تأثير اللوبي في الكونغرس. ويرجع نجاح هذه المنظمة إلى قدرتها على مكافأة المرشحين للكونغرس الذين يؤيدون أجندتها، وقدرتها أيضا على معاقبة الذين يتحدّون هذه الأجندة . إن المال هو عصب الانتخابات الأميركية، وتضمن إيباك أن يحصل أصدقاؤها على دعم مالي قوي. كما تنظم إيباك حملات كتابة رسائل وتشجيع رؤساء تحرير الصحف على تأييد المرشحين الموالين لإسرائيل.

وعليه ، فان الايباك لها القدرة في ايصال ممن تريد الى الكونغرس ومعاقبة من لا يمتثل لمصالحها . وتعتبر من المجموعات الضاغطة التي لها التأثير الفاعل في الكونغرس الأميركي. فلا عجب أن شارون قال أمام جمهور أميركي : "عندما يسألني أحد كيف يمكن مساعدة إسرائيل، أقول له : ساعدوا إيباك ".

2- التأثير على الجهاز التنفيذي:

يأتي الجهاز التنفيذي في المرتبة الثانية التي يستخدمها اللوبي، وتعود قوته إلى تأثير أصوات اليهود في الانتخابات الرئاسية ، فرغم صغر عددهم مقارنة بعدد السكان (أقل من 3%) فإن اليهود ينظمون حملات واسعة لجمع التبرعات لمرشح الحزبين. وقد قدرت صحيفة الواشنطن بوست ذات مرة "أن مرشحي الرئاسة الديمقراطيين يعتمدون على مؤيديهم من اليهود لتوفير نسبة عالية من أموال الحملة الانتخابية"، بالإضافة إلى أن الناخبين اليهود يتركزون في ولايات رئيسية مثل كاليفورنيا، فلوريدا، إلينوي، نيويورك، بنسلفانيا. ومن ثم لا يحاول مرشحو الرئاسة إثارة عداوة الناخبين اليهود .

يحرص اللوبي أن يحتل أشخاص موالون لإسرائيل مواقع مهمة في الجهاز التنفيذي. فأثناء إدارة كلينتون، مثلاً، كانت سياسة الشرق الأوسط تتشكل بواسطة مسؤولين تربطهم علاقات وطيدة بإسرائيل أو بمنظمات موالية لها، وكان هؤلاء من المستشارين المقربين للرئيس كلينتون في قمة كامب ديفيد، في أيلول 2000. وكان الوفد الأميركي يأخذ الإشارة من إيهود باراك، رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق وينسقون مواقفهم، فلا يقدم الوفد اقتراحات مستقلة لحل الصراع . من هنا كان يشكو المفاوضون الفلسطينيون من أنهم يتفاوضون مع فريقين إسرائيليين، "أحدهما يرفع العلم الإسرائيلي والآخر يرفع العلم الأميركي". وتتضح هذه النقطة بشكل أكبر في إدارة بوش التي تضم في صفوفها أشخاصاً متحمسين لإسرائيل ؛ إذ برز ذلك في الوسائل الاعلامية بشكل علني .

3- **تشكيل الرأي العام**:

يتجنب اللوبي أو يحاول الابتعاد قدرالامكان عن الحوارات المفتوحة حول قضايا تخص إسرائيل لأن مثل هذا الحوار قد يجعل الأميركيين يتساءلون عن مستوى الدعم الذي يقدمونه لها فعلياً. لذلك تعمل المنظمات الموالية لإسرائيل بشكل لا يعرفه الكل للتأثير على وسائل الإعلام ومراكز التعليم والجامعات، لأن هذه المؤسسات لها دور حاسم في تشكيل الرأي العام.

4- التأثير بواسطة وسائل الإعلام

تعكس وسائل الإعلام رؤية اللوبي لإسرائيل الايجابية جداً ، يعود ذلك بدرجة كبيرة إلى أن معظم المعلقين موالين لإسرائيل . يقول أحد الصحفيين بأن الحوار والجدل بين المتخصصين في قضايا الشرق الأوسط "يتحكم فيه أناس لا يمكنهم تصور توجيه النقد لإسرائيل". وينعكس التحيز لإسرائيل في افتتاحيات كبرى الصحف الأميركية ، مثل وول ستريت جورنال، واشنطن تايمز، نيويورك تايمز. ويعترف ماكس فرانكل رئيس التحرير التنفيذي لنيويورك تايمز في مذكراته : "لقد كنت مخلصاً لإسرائيل أكثر مما كنت أجرؤ على أن أبيّن.. كنت أكتب تعليقاتي من منظور موالٍ لإسرائيل."
أما بالنسبة لنقل وسائل الإعلام للأحداث ، حيث يحاول المراسلون أن يكونوا موضوعيين، فإن اللوبي يقوم بالاشراف على غالبية التقارير وله دور فاعل في إعاقة أي تقارير مسيئة لإسرائيل، حيث ينظم حملات لكتابة الخطابات ومظاهرات وحملات مقاطعة لوكالات الأنباء التي تنشر ما يمكن اعتباره مناهضاً لإسرائيل. فقد تم تنظيم مظاهرات خارج مقر محطات الإذاعة العامة الوطنية في العديد من المدن العام 2003، كما حاول اللوبي إقناع المساهمين بسحب الدعم عن هذه المحطات حتى تصبح تغطيتها لأحداث الشرق الأوسط أكثر تعاطفاً مع إسرائيل ، بحسب وكالات الأنباء آنذاك . ويقال إن محطة "بوسطن" خسرت حوالي مليون دولار نتيجة لهذه الجهود. كما طالب أصدقاء إسرائيل في الكونغرس هذه المحطات بتدقيق رسمي لحساباتها ومراقبة تغطيتها لأحداث الشرق الأوسط .

5- مراكز التفكير

تسيطر القوى الموالية لإسرائيل على مراكز التفكير في الولايات المتحدة . إذ تشكل هذه المراكز دوراً هاماً في تشكيل المناقشات والمناظرات العامة، وفي السياسة الحقيقة... ما يتلاءم وأهداف اسرائيل . وأنشأ اللوبي مركزاً خاصاً به العام 1985 هو معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنىWINEP ويتم تمويله وإدارته من قبل أشخاص ملتزمين تماماً بتقديم وخدمة الأجندة الإسرائيلية .

خلال الخمس والعشرين عاماً الماضية أحكمت القوى الموالية لإسرائيل قبضتها على أهم مراكز التفكير في الولايات المتحدة، ولعل أحد مؤشرات تأثير اللوبي في هذا المجال هو ما حدث في مؤسسة بروكينغز Brookings؛ فلسنوات عديدة كان الخبير في قضايا الشرق الأوسط لهذه المؤسسة هو وليم كوانت، الأكاديمي البارز والمسؤول السابق في مجلس الأمن القومي، والذي اشتهر بعدم تحيزه في التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي، أما حالياً فتتم إدارة دراسات الشرق الأوسط في المؤسسة من خلال مركز سابان الذي يموله حاييم سابان، وهو ثري أميركي-إسرائيلي، وصهيوني متحمس، أما مدير مركز سابان فهو مارتن إنديك ذو السلطة المطلقة والنفوذ .

6- السيطرة على الجامعات

ارتفعت موجة النقد لإسرائيل بعد انهيار عملية السلام وتولي أريال شارون السلطة في بداية العام2001 ، وأصبحت أكثر شدة عندما أعاد الجيش الإسرائيلي احتلال الضفة الغربية في ربيع2002 ، واستخدم العنف ضد الانتفاضة الثانية. عندئذ تحرك اللوبي لاستعادة الجامعات، فظهرت جماعات جديدة في الجامعات، أتى بعضها بمحاضرين من إسرائيل للكليات الأميركية. وضاعفت منظمة "إيباك" إنفاقها ثلاثة أضعاف على برامج مراقبة الأنظمة الجامعية لتدريب الشباب المدافع عن إسرائيل من أجل زيادة عدد الطلبة المشاركين في الجهد القومي الموالي لإسرائيل داخل الجامعات .

اللوبي والديمقراطية الأميركية

الأمر الذي يدعو للقلق هو أن سياسة اللوبي الراهنة سوف تجعل إنهاء الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي أمراً مستحيلاً، كما أنها تزيد من خطر الإرهاب . كما حرم اسرائيل من عقد اتفاقيات سلام مع دول مثل سوريا بسبب مواقفه المتشددة ، وانّ بقاء اللوبي على هذا الشكل سوف يقلل من تعاون دول الشرق الأوسط مع أميركا في الحرب على الإرهاب . ويجدر التساؤل : الى متى تبقى قوّة هذا اللوبي الاسرائيلي ؟ سوف تستمرعلى المدى المنظور بسبب غياب أي حضور لأي قوّة تستطيع ان تحد من نفوذه ونفوذ مناصره .

من ناحية أخرى **يشكل اللوبي عائقاً كبيراً ويعكس صورة مُضرّة للديمقراطية الأميركية لأن سياساتها تقدم مثالا صارخاً على تعطيل آليات هذه الديمقراطية و تقمع الجدل الايجابي الضروري حول السياسة الأميركية و نتائجها على الصعيد الداخلي والخارجي** . إن قوة اللوبي تنعكس على الولايات المتحدة الأميركية التي "نصبت نفسها رقيباً على حقوق الانسان في العالم تكيل بمكيالين اذا تعلق الأمر باسرائيل وأطفال فلسطين والغارات على جنوب لبنان واحتلال الجولان ، أما اسرائيل فتوصف بالدولة الديمقراطية المتمتعة بحقوق الانسان والحريات وتستفيد سنوياً من 12 مليار دولار من الأسلحة المتطورة لقتل الأبرياء وتحطيم البنى التحتية لفلسطين"كما برهن ذلك الدكتور خليل حسن (19) .

يرى الباحثان ميرشايمر ووالت أن اللوبي الإسرائيلي في واشنطن عمل على توجيه السياسة الأميركية في الشرق الأوسط وفقاً للمصالح الإسرائيلية . إن عمليات "مجموعات الضغط" لا تتعلق فقط بالشؤون الداخلية الأميركية ومصالح الشركات الكبرى ، بل يتعدى ذلك إلى مستوى الدول، ليصل الأمر في بعض الأحيان إلى دفع أموال طائلة من أجل أن يتم تمثيل مصالحها في واشنطن.
وتدل الدراسات على أن اللوبي الاسرائيلي ليس كغيره ، فهو يختلف عن مثيلاته من القوى الضاغطة

والمؤثرة على السياسة الاميركية من حيث السطوة والتأثير على صنع القرار السياسي الأميركي خصوصاً بشأن المنطقة العربية. فهو قادر، بلا شك، على التأثير على أغلبية أعضاء الكونغرس الاميركي لتأمين الدعم لاسرائيل. إلاّ أن الإقرار بقوة وسطوة وخصوصيات اللوبي الاسرائيلي أمرٌ ، وجعله المسؤول الاول عن السياسة الخارجية الاميركية فهذا أمرٌ آخر. يعمل على ضمانة الدعم الدائم لإسرائيل ، إلاّ أن هذا لا يعني انه السبب في العلاقة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وسياسة اسرائيل . وفي معرض تعليقه على طبيعة نشاطات "مجموعات الضغط"، يرى مدير الشؤون الدولية في لجنة اليهود الأميركيين، أندرو بيكر، أن الأمر ينسجم مع روح الدستور الأميركي، حيث تحاول "مجموعات المصالح" المختلفة في واشنطن التأثير على أعضاء الكونغرس من أجل استمالتهم لمصالحها . وتبين أن جماعات الضغط الموالية لاسرائيل كانت وراء الحرب في العراق أكثر من صناعة النفط التي تهدف اليها أميركا الى حدٍ بعيد . وتهدف هذه الجماعات الى زيادة عدوانية الحكومة الأميركية حيال البلدان العربية ، بما في ذلك ممارسة حد أقصى من الضغط لصالح قيام الحرب في العراق ، ومقاطعة ايران أو شن هجوم عسكري عليها ، ودعم الولايات المتحدة عمليات الاغتيال الاسرائيلية والتطهير التي يتعرض لها الفلسطينيون . وكل ذلك في سبيل تحول اسرائيل الى اكبر تجمع يهودي في العالم (20) .

هناك العديد من الأدلة في السنوات الأخيرة التي دلّت على أن شركات النفط لم تشجع سياسة حربية ، الحروب أضرت بمصالها وعملياتها واتفاقاتها المعقودة مع أنظمة عربية بارزة في المنطقة ، تمت التضحية بمصالح شركات النفط صوناً لمصالح اسرائيل ، نفوذ جماعات الضغط الموالية لاسرائيل يفوق نفوذ شركات النفط في تحديد شكل السياسة الأميركية في الشرق الأوسط .

اللوبي وسياسة أميركا في العالم والشرق الأوسط

إن سياسة أوباما في التعامل مع الأزمات الدولية والتحديات تقوم على فكرة التعاون والدبلوماسية والتحاور التي تستدعي شراكة عالمية ، بدلاً من فكرة الحرب التي تستدعي الصدام والمواجهة التي كانت سياسة سلفه جورج بوش الابن . إزاء هذا المعطى الأميركي الاستراتيجي يبرز التساؤل عما اذا كان اللوبي الاسرائيلي بامكانه ممارسة النفوذ الذي يبقيه على قدر من الأهمية في قلب هذه الاستراتيجية .
وعليه ، يتناول الفصل الثاني تأثيراللوبي الاسرائيلي على سياسة أميركا الخارجية في قسمين متتاليين : يتطرق القسم الأول الى موقع ايران في لعبة المصالح الأميركية الاسرائيلية ومدى افادة اللوبي من الحادي عشر من أيلول إزاء الارهاب العربي ، والسؤال حول امكانية اضعاف اللوبي في سياسته التأثيرية على القرار الأميركي . ويعالج القسم الثاني كيفية تخطيط اللوبي للسياسة الخارجية الأميركية بتفاصيلها ، وتوجيه واحتكار اللوبي لهذه السياسة ، أضف الى ذلك الخطط التي يعتمدها اللوبي لتشجيع أميركا على الحروب إن المعنوية أو المادية .

اللوبي يرسم السياسة الأميركية بتفاصيلها

إن المخطط الكبير القائم على إنشاء منطقة ازدهار أميركية – اسرائيلية مشتركة كبرى سيمكن اسرائيل من الحصول على الماء والنفط ورأس المال والأسواق التي تفتقر اليها في الوقت الحاضر. ان الدعم الأميركي لاسرائيل يزعزع الاستقرار في المنطقة مهدداً عملية التزود بالنفط ورافعاً الأسعار على المستهلكين الأميركيين وخالقاً أعداء للحكام العرب المتحالفين مع الولايات المتحدة الأميركية الذين يستثمرون فيها ويرفعون حصص أوبيك للمساعدة على تخفيض أسعار المشتقات النفطية في الولايات المتحدة .

للولايات المتحدة مصالح استراتيجية في الشرق الأوسط . وهي أيضاً ملتزمة بالحفاظ على وجود إسرائيل . وكجزء من هذه الاستراتيجية، يجب على الولايات المتحدة البدء في معاملة إسرائيل كدولة عادية، وليس على أنها الولاية رقم (51) فيها. عمر دولة إسرائيل 60 سنة ، وهي تزدهر على نحو متزايد ومعترف بها رسمياً بواسطة الغالبية العظمى من دول العالم ، وبدا ذلك واضحاً في دراسات عديدة ذكرناها سابقاً .

إن تحقيق هذا التغيير يتطلب الحد من قوة المجموعات الأكثر نفوذاً داخل اللوبي الإسرائيلي، مثل أيباك ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأميركية. ويمكن تحقيق هذا الهدف في حال وجود مناظرات منفتحة أكثر عن الدور الذي يقوم به اللوبي الإسرائيلي في تشكيل السياسة الأميركية ، وانتشار الوعي الأكثر بالتاريخ الإسرائيلي وسلوكياته ، مناقشة جادة ومخلصة داخل مجموعات الدعم الإسرائيلية في أميركا ، بدلاً من محاولة إضعاف أو مجابهة اللوبي الإسرائيلي ، وأن تصبح المنظمات المعتدلة في دعمها وتأييدها لإسرائيل أكثر نفوذاً وتأثيراً وأن تدرك أن المواقف المتشددة التي تمسكوا بها في السابق كانت غير مثمرة وغير مفيدة .

اللوبي يخطط ويشجع أميركا على التنفيذ

إن السياسة التصادمية التي تبنتها الولايات المتحدة حيال سوريا في الفترات الأخيرة أدّت الى عدم تزويد هذه الأخيرة بالمعلومات الاستخباراتية عن القاعدة لأميركا ، وربما تعمد الرئيس الأسد ذلك بهدف الهاء أميركا وانشغالها في العراق والابتعاد عن القيام بأي أعمال عسكرية في سوريا ، مع الحفاظ على دعم حزب الله في لبنان ، وتمتين العلاقة مع ايران ، وعليه يبقى اللوبي مصراً على السياسة التي يعمل لتحقيقها على المدى الطويل رغم النكسات التي يصادفها . ويستبعد اعادة الجولان الى سوريا مقابل السلام. وهنا **يمكننا التساؤل كيف كانت العلاقة بين سوريا وأميركا لولا وجود اللوبي الاسرائيلي الذي يخطط وينفذ بأدوات تبعد عنه شبح السيطرة على العالم الذي يعمل له في الخفاء . وكيف كانت العلاقة مع حماس وحزب الله والجهاد الاسلامي** ... هذه هي حال أميركا في سياستها الخارجية حيال هذه الدول التي يرسمها بتفاصيلها اللوبي الاسرائيلي .

باختصار ، فشلت أميركا في حربها على العراق ولم تستطع نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط . هذا قلّل من عزيمتها إزاء ايران التي تمتلك قوة نووية ، ويدفعها الى التفكير ملياً بالاقدام على أية خطوة كهذه. هذا ما امتعضت منه اسرائيل التي تعتبر ايران العدو الأكبر لها . في الوقت الذي كان اللوبي يخطط بأن مجرد أن تربح أميركا الحرب في العراق فسيوقع الفلسطينيون على معاهدة سلام بالشروط الاسرائيلية ، انما أتت النتيجة بما لا يتوافق ومصالحه . وبينما تبحث أميركا عن مخرج للانسحاب من العراق يتم الضغط عليها لفتح القنوات الحوارية مع ايران وسوريا وبالتالي بذل الجهد لاقامة تسوية وانهاء الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني، لا سيما أن هذه الدول تشكل حلقة متكاملة مطلبية حيال أميركا أو اسرائيل لأن هذان الأخيران وجهان لمصلحة واحدة وهي الاهتمام بالتفوق الاسرائيلي في تلك الدول (21) .

هذه الأحداث المتتالية ليست وليدة أسباب حقيقية انما يخطط اللوبي لها لتنفيذها في السياق الذي يتلاءم والأهداف السياسية الاستراتيجية ، ما يدل على أن ما تقوم به أميركا في هذا المجال هو بدافع من هذا اللوبي، ولولا وجوده لكانت الادارة الأميركية اهتمت بشؤونها الداخلية ومصالحها الخارجية ، ولم تكن بحاجة الى كل هذه الحروب الدامية التي لم تتوصل الى أية نتيجة ايجابية حتى اليوم . بالرغم من ذلك فتاريخها حافل في الضغط على بعض الدول لتغيير مسلكها السياسي ليتلاءم والمصلحة الأميركية على سبيل المثال لا الحصر ما حصلت عليه واشنطن من تنازلات من الزعماء السوفيات عندما كان الاتحاد السوفياتي يتفكك ، الى ممارسة نفوذها في أوكرانيا وكازخستان وبيلاروسيا للتخلي عن ترسانتها النووية .كما استطاعت اقناع ليبيا بالتخلي عن أسلحة الدمار الشامل مقابل رفع العقوبات الاقتصادية . كما أجبرت صربيا على الانسحاب من كوسوفو العام 1999 وضغطت على غالبية الدول لعدم انشاء محكمة جزائية دولية بهذا الخصوص .

كما قاطعت أميركا جنوب أفريقيا في نهاية القرن الماضي ابان الحكم العنصري (البارتهايد) فيها وقطعت عنها كل الدعم الاقتصادي والدبلوماسي ، بامكانها الآن اذا أرادت عزل اسرائيل التي تتسبب بكل هذه الحروب وإن بأشكال مختلفة . ومن نتائج ذلك اقامة دولة فلسطينية مقرونة بالدعم المادي طويل الأمد مقابل التخلي عن وقف العمليات الارهابية ضد اسرائيل ، الا أن هذا صعب المنال لما يعانيه كل من الطرفين من اختلال وانقسام داخلي .
وفي ما رأيناه العام 2002 دعوة بوش لاسرائيل للانسحاب من مناطق فلسطينية واطلاقه خارطة الطريق التي عملت على جدول زمني يفضي الي قيام دولة فلسطينية مستقلة ، وبعدما بُذلت الجهود وقطعت أشواطاً مهمة وجدت اسرائيل أنها لم تستطع فرض التسوية التي تريدها لانهاء الصراع ، تحرك اللوبي سريعاً لاحباط محاولة بوش ونجح الى حد ما ، حيث استخدم كل مجموعاته في أشكال مختلفة من التكتيك التي جاءت آنذاك برسائل مفتوحة من الكونغرس ومقالات صحافية ولقاءات مكثفة مع مسؤولين في الادارة الأميركية . وبدلاً من أن تقوم أميركا كما فعلت في جنوب أفريقيا بتهديد اسرائيل بقطع الدعم عنها فان شارون استطاع أن يوجه بوش الى المسار الذي يحرفه عن مشروعه "خارطة الطريق" للشرق الأوسط . **ويهدف اللوبي من وراء ذلك الابقاء على الدعم الأميركي للسياسة الاسرائيلية والحفاظ على موقعها كقوة اقليمية مهيمنة ، وتشجيع أميركا على الدخول في حروب تكون في غالبية الأحيان غير محسومة النتائج بحجة نشر الديمقراطية والحرية في المناطق بأكملها .**

توجيه واحتكار اللوبي للسياسة الخارجية

يعمل اللوبي على مسارات عدة لتوجيه سياسة اسرائيل الخارجية تماشياً مع السياسة الخارجية الأميركية وذلك عبر السعي لاقامة علاقات دبلوماسية مع كل دول العالم عبر شروطها الخاصة . وتتبنى الدبلوماسية التي تُظهر اسرائيل بأنها دولة مسالمة ولا تريد الحرب إلا لغايات دفاعية . وما ساعدها على ذلك أحداث 11 أيلول 2001 التي جعلت أميركا تأخذ مبادرة محاربة الارهاب وأشكاله في أية بقعة من العالم . وبهذا أصبحت أميركا شريكة اسرائيل في مواجهة الارهاب كون هذه الأخيرة تتعرض لعمليات ارهابية ضد المدنيين . وما عزز من رؤيتها هذه قيام التحالف الأميركي بغزو العراق مما خفف من وطأة الرعب الذي كانت تعانيه اسرائيل من النظاع العراقي السابق الذي وجّه صواريخه نحو تل أبيب في حرب الخليج الأولى 1991 .
وعليه ، ترى اسرائيل بالتعاون مع الادارة الأميركية في دول الشرق الأوسط ثلاثة أنواع حسب الباحث جوني منصور في كتابه "اسرائيل الأخرى رؤية من الداخل"(22) :

1- من الدول التي تشجع حالة الاستقرار السياسي هي مصر والأردن والسعودية ، التي تعمل وسيطة في نزاعات كثيرة للتوصل الى حلول سلمية وبالطرق الدبلوماسية .
2- من الدول التي تعتبر اسرائيل والادارة الأميركية أنها تشكل خطراً على الاستقرار السياسي والأمني هي ايران وسوريا وحزب الله وحركات المقاومة في فلسطين والعراق ، هذه الدول تشكل خطراً على مستقبل اسرائيل .
3- من الدول التي تميل الى تثبيت أسس الاستقرار وتمنع حدوث تحولات قد تؤدي الى تغيير في أنظمة الحكم المستقرة هي اسرائيل . بمعنى ان اسرائيل تعتبر نفسها ضمن شبكة علاقاتها الخارجية أنها دولة تسعى الى تثبيت الاستقرار كحالة سياسية في منطقة الشرق الأوسط .

من جهة أخرى ، تولي اسرائيل علاقاتها الخارجية مع الولايات المتحدة أهمية قصوى لكونها تحصل على مخصصات مالية بمليارات الدولارات كل سنة لدعم اقتصادها وتطوير أسلحتها وقواتها العسكرية . وتحافظ اسرائيل على هذه العلاقة لتطوير أسلحتها التكنولوجية وحليفة لأميركا غير المتنازع عليها في الشرق الوسط.

أما في ما يتعلق بعلاقات اسرائيل مع الدول فيحددها الكاتب جوني منصور بالآتي :

- العلاقة مع الاتحاد الأوروبي ، فإن الحكومة الاسرائيلية معنية برفع نسبة التبادل التجاري مع هذا الاتحاد والبحث عن مشاريع مشتركة في الاستثمار في اسرائيل . وتسعى الى الحفاظ على العلاقات السياسية مع دول الاتحاد مع أنها تدرك أن هناك تعاطفاً قوياً من قبل عدد كبير من دول الاتحاد مع القضية الفلسطينية .
- العلاقة مع دول شرقي أوروبا وسط آسيا (أي الدول التي كانت تعتبر في فلك الاتحاد السوفياتي سابقاً) فإن اسرائيل ستواصل بناء وتعزيز علاقاتها السياسية من ارتفاع كميات الاستثمارات الاسرائيلية فيها خاصة في مناطق آسيا الوسطى . هناك سلسلة من المخططات الاسرائيلية لربط صناعات بترو كيماوية في منطقة آسيا الوسطى مع موانئ اسرائيلية خاصة مع ميناء حيفا ، ويدور الحديث في أروقة الخارجية الاسرائيلية على مد أنبوب نفط من بحر قزوين عبر كردستان العراق الى حيفا على ساحل البحر المتوسط ، لكن حتى الآن لم يعلن رسمياً عن مثل هذا المخطط .
- العلاقة مع دول أفريقيا ، تواصل اسرائيل باقامة علاقات دبلوماسية مع دول القارة باعتبارها جديثة العهد . وتدرك اسرائيل أهمية أفريقيا من ناحية كونها منطقة ذات قدرة سوق قوية للغاية ، لهذا فان الاستثمار في أفريقيا مربح للغاية . وتقوم شركات اسرائيلية ببيع كميات من السلاح الاسرائيلي الى أطراف متنازعة في افريقيا هذا غير معلن عنه وسمياً ولا يطرح على جدول الاعلام اليومي في اسرائيل .
- علاقة اسرائيل مع الفاتيكان أحد أبرز الانجازات السياسية التي حققتها اسرائيل منذ تأسيسها ، لكون تأثير الفاتيكان واسعاً في دول كثيرة خاصة في دول أميركا اللاتينية .
- العلاقة مع دول شرقي آسيا ، فهي تستفيد من بناء شبكة علاقات سياسية واقتصادية خاصة مع الصين وتايلاند وغيرها .
- العلاقة مع دول في الشرق الأوسط ، فهي تنظر الى تركيا كحليفة من منطلق تحالف البلدين مع الولايات المتحدة الأميركية .وتجد اسرائيل ان المخاطر الاستراتيجية تشكل خطراً على تركيا هي ذاتها التي تشكل خطراً على المصالح الاسرائيلية وفي مقدمتها العراق وايران والارهاب العالمي . وتحاول اسرائيل دق اسفين في العلاقات التركية –السورية .

وتعتبر اسرائيل من وجهة نظرها ان سياستها هي التوصل الى سلام مع كل الدول العربية دون قيد أو شرط مسبق . في الواقع استفادت من التسوية مع الأردن أكثر مما استفادت مع مصر . وترى أن علاقاتها مع مصر والأردن استراتيجية للحفاظ على الاستقرار في المنطقة . أما بالنسبة الى سوريا ، فان اسرائيل تسعى الى عزلها دولياً وتعزيز فكرة كونها دولة ارهابية وتأوي منظمات ارهابية ، ما أثر ذلك على توجهات السياسة الخارجية الأميركية التي اعتبرت سوريا في مصاف الدول الداعمة للارهاب .

وترى اسرائيل ان حدودها لم تعد آمنة ، لهذا لا يضمن مناعتها الا بتضعيف الدول العربية التي تجاورها . والخطر الأكبر هو لناحية ايران ، لهذا تسعى الى ابقاء الملف النووي ساخناً وتعمل على تحريك المجتمع الدولي لفرض عقوبات اقتصادية وسياسية على ايران وتشكيل كتلة عربية وشرق أوسطية لمواجهة الخطر النووي الايراني . وتعتبر اسرائيل ان الملف النووي يشكل خطراً على مصر والأردن والسعودية ودول الخليج .

إسرائيل وتقويض مصالح اميركا

تشكل اسرائيل عبئًا استراتيجيًا كبيرًا على الولايات المتحدة، لكنها في الوقت ذاته ظلت تحظى بدعم قوي بسبب اللوبي الإسرائيلي الغني وجيد التنظيم والقادرعلى الإقناع والذي استطاع أن يحكم قبضته الخانقة على الكونغرس والنخبة الأميركية . أن اللوبي الإسرائيلي استطاع أن يحظى بقدرة كبيرة على إقناع إدارة الرئيس بوش بغزو العراق، وربما يدفع الادارة الحالية الى توجيه ضربة عسكرية للمنشآت النووية الإيرانية .

إبّان الحرب الباردة ، يمكن القول انّ اسرائيل كانت ذات قيمة استراتيجية ، إذ منعت واحتوت التمّدد السوفياتي في المنطقة خاصّة بعد حرب الأيام الستة العام 1967 من خلال الحاق هزيمة مذلّة بدول مثل مصر وسوريا ، ومن خلال دعمها لدول حليفة لأميركا مثل الأردن، وأفادت أميركا بجمع المعلومات الاستخباراتية المفيدة عن قدرات الاتّحاد السوفياتي .

لكنّ قيمة اسرائيل الاستراتيجية في تلك الفترة جاءت نتيجة الدعم العسكري الأميركي والمساعدة العسكرية العاجلة بقيمة 2,2 مليار دولار، ما أدّى الى توقّف تدفّق نفط اوبك الى الغرب الأمر الذي ألحق ضرراً اقتصادياً كبيراً بالدول الغربية . انما عند اندلاع الثورة الايرانية عام 1979 عرّضت الامدادات النفطية في الخليج الى الخطر للضغط عليها (23).

بعدما كانت لاسرائيل قيمة استراتيجية خلال الحرب الباردة ، **أثبتب حرب الخليج الأولى (91-90) انّ اسرائيل أصبحت عبئا استراتيجيا على أميركا، فلم تستطع الاخيرة استخدام القواعد العسكرية في اسرائيل** مخافة ان يؤدي ذلك الى انهيار التحالف الدولي ضدّ العراق . و قد أعاد التاريخ نفسه في العام2003 فعلى الرغم من انّ اسرائيل كانت متشوقة لقيام الولايات المتّحدة بمهاجمة صدّام، فانّ بوش لم يستطع طلب المساعدة منها لانّ ذلك سيلقى معارضة عربية وبالتالي **ظلّت اسرائيل محايدة مرّة اخرى.**

انّ اسرائيل لا تعمل كحليف استراتيجي للولايات المتّحدة ، وغالباً ما يتجاهل المسؤولون الاسرائيليون المطالب الأميركية ، إذ قامت بنقل التكنولوجيا العسكرية الاميركية الحسّاسة الى منافسين رئيسيين للولايات المتّحدة الأميركية لاسيما الصين . والأهم انّ اسرائيل **تتجسّس بشكل كبير وواسع على الولايات المتّحدة الأميركية وقضية الجاسوس جوناثان بولارد معروفة، كما انّ قضيّة "لاري فرانكلين" المسؤول الرفيع المستوى في البنتاغون والذي قام بتسريب وثائق في غاية الأهمية الى أيباك في العام 2004 معروفة ايضاً.**

وما نقرأه في الخريطة الدولية أن اللوبي الإسرائيلي شجع من داخل الولايات المتحدة على الحرب ضد العراق ، وبالوقوف وراء التشدد الأميركي تجاه سوريا وإيران ووراء مساعي الإدارة الأميركية لإعادة تشكيل الشرق الأوسط الجديد .
وتشير الدراسات الى أن المواقف الأميركية السابقة ليست في مصلحة أميركا، بل إنها تقوض مصالح أميركا حيث تدفعها إلى معاداة أنظمة لا تمثل تهديداً حقيقياً لمصالحها ولا أمنها، كما أنها تؤدي إلى تأليب تلك الأنظمة على أميركا بدلاً من تعاونها معها في الحرب ضد الإرهاب.
شكل اللوبي الإسرائيلي ضرراً في قرار أميركا غزو العراق لأنه كان من الممكن أن تكون إيران وأميركا حليفين لولا تأثير اللوبي الى هذا الحد .
أضف إلى ذلك أن إسرائيل ليست حليفا دائماً لأميركا الا في ما يخدم مصالحها وهذه حال غالبية الدول التي تعمل للحفاظ على استراتيجيتها الحالية والمستقبلية . فهي تحرج أحياناً المواقف الأميركية بسبب سياساتها

تجاه الفلسطينيين وتوسعها المستمر داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة ، وتسريبها معلومات أمنية هامة للصين.

يتضح مما سبق أنه قد يكون لذلك نتائج سلبية وربما أعباء إستراتيجية على أميركا،لا سيما إنهاء الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي الذي يبدو مستحيلاً في الوقت الحاضر ، الأمر الذي قد يؤدي الى مزيد من العمليات الإرهابية في المواقع التي تهم اميركا من ناحية ، وعدم تعاون دول الشرق الأوسط معها لحل هذه الأمور من ناحية أخرى .في المقابل تعاني أميركا من خطر الإرهاب، والسياسة التوسعية في الأراضي المحتلة ، انما نجدها لا تتصرف بالحزم المطلوب تجاه اسرائيل . والسؤال الذي يمكن طرحه : هل لا تريد ذلك ؟ أم أنها ليست قادرة ؟ وفي كلا الحالتين الاجابة صعبة على الأقل في الوقت الحاضر .

اللوبي وسياسة أميركا الخارجية

فاللوبي الاسرائيلي يعمل بكل الوسائل التي تتيح له تنفيذ أهدافه ، انما قد تأتي احياناً مغايرة لما يخطط له فيسبب الأذى إن لاسرائيل أو لاميركا على حد سواء . وما لا تستطيع أميركا أحياناً تفسيره هذا هو الدعم غير المشروط الذي تقدمه لاسرائيل ، وفي المقابل تقوض هذه الأخيرة صورتها في العديد من الدول لا سيما أنها لم تستطع اقناع اسرائيل بانهاء الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني ، الى الحرب في العراق الذي لم تحصد منه أميركا إلا الخسائر المتلاحقة ، حرب تموز في لبنان التي قوّت حزب الله وقرّبت المسافة بين سوريا وايران . ورغم ذلك لم يتوانَ اللوبي عن تشجيع أميركا لشن حرب على ايران خصوصاً أنها تشكل تحدياً كبيراً لاسرائيل . **هذا يدل على قوة اللوبي البنّاءة وكأن الادارة الأميركية تتحول في بعض من قراراتها الى ورقة عمل في أيدي اللوبي ، ولا تستطع التفلت من هذا الوضع الذي قد يعيق ميزان القوى العالمي** . وفي هذا المجال تعتمد الولايات المتحدة على استراتيجية واضحة المعالم في الشرق الأوسط تختصرها بثلاث عناصر محددة وهي الطاقة والارهاب وأسلحة الدمار الشامل ، وتعمل جاهدة للسيطرة على هذه العناصر ما يولد لها العداوة في العديد من الدول من جهة ولضمان أمنها وقوتها الاستراتيجية من جهة أخرى .

ايران نافذة ليحقق اللوبي أهدافه

إن النفوذ الاسرائيلي في تحديد السياسة الأميركية – الايرانية تظهر في ما يتعارض ومصلحة بيغ أويل ، إذ أن شركات النفط الدولية تقوم بتعليق مشاريعها في ايران تبلغ مليارات من الدولارات بسبب قلقها من التحفظ الدبلوماسي (التهديدات الاقتصادية العسكرية الأميركية) حيال البرنامج النووي . كما **أثّر اللوبي في الكونغرس لمنع كل شركات النفط الأميركية الرئيسية من الاستثمار في ايران** . وتشعر اسرائيل بالخوف تجاه ما يوفره الانفتاح الأميركي تجاه ايران من فرص للتوافق حول البرنامج النووي الايراني ، والذي "يمثل في رأي القيادات الاسرائيلية واللوبي الاسرائيلي مصدر تهديد وجودي. **وسيعمل اللوبي للمسألة النووية الى انطلاقة جديدة للسياسات المتشددة ضد ايران"** بحسب دراسة نزار عبد القادر(24) .

يبدو جلياً مدى تأثيراللوبي لا في السياسة الأميركية فحسب ، بل أيضاً في المؤسسات السياسية الديمقراطية في أميركا التي تعكس بدورها السياسة الخارجية .

يعكس الصراع العربي – الاسرائيلي صورة قاتمة عن السياسة الخارجية الأميركية ، وهي تؤثر بصورة سلبية جداً في الرأي العام العربي . كما يشكل أيضاً الدوافع الأساسية لعسكرة المجتمعات العربية .
وتبين الدراسات ان دولة اسرائيل هي المستفيد الرئيسي من الحرب في الشرق الأوسط ، وقد نجحت في حمل الولايات المتحدة على تدمير عدوّها العربي الأكثر ثباتاً على مبادئه . وتضمن اسرائيل حصولها على أحدث الأسلحة والتكنولوجيا ، ودخول الأسواق الأميركية دون قيود ، وحرية دخول المهاجرين اليها ، والتزام غير مشروط بالحصول على دعم الولايات المتحدة في حال دخولها في حرب ، وقمع الشعب المستعمَر وضمان المعارضة الأميركية لأي قرارت تصدر عن الأمم المتحدة وتشكل حرجاً لها .

العلاقة بين أحداث 11 أيلول واللوبي

إثر أحداث 11 أيلول ، سرت شائعات في الشرق العربي مفادها ان التفجير مؤامرة اسرائيلية لحث واشنطن على مهاجمة الأعداء العرب . ومثل هذه الروايات لها مدلولاتها بتوفير الغطاء لآريال شارون بقمع الفلسطينين في سياق مناهضة الارهاب . ولم تتطرق أياً من وسائل الاعلام والقادة السياسيين الى مثل هذه الروايات التي تورط اسرائيل في العملية . ويطرح أسئلة عديدة تجاه هذا الأمر : **هل علمت اسرائيل بالحدث قبل حدوثه دون أن تتشاطره مع أميركا ؟ هل من علاقة بين الارهاب والموساد الاسرائيلي ؟ هل من معلومات سرية تعلن في يوم ما ؟ على الأرجح فهذا صعب ، لأنه قد يكشف عن عملاء اسرائيليين سريين يعملون من خلال جماعة الضغط القوية التابعة لها والقائمة ما وراء البحار، وحلفائها في الحكومة والشؤون المالية** . ان الافتقار الى أي تصريح علني مرتبط باحتمال معرفة اسرائيل بـ 9 و 11 أيلول ، كما أنه لم يرد أي ذكر إضافي لشبكات التجسس الاسرائيلية العاملة في المواقع الأميركية الأكثر دقة والمناهضة للإرهاب. هذا أمر جد طبيعي اذا فهمنا بطريقة صحيحة العلاقة الفريدة بين أميركا واسرائيل التي هي قوة اقليمية .
كما ان اقتصاد اسرائيل قائم على الدعم الأميركي ان من الحكومة – الكونغرس والرئاسة على حد سواء، وان من مساهمين يهود أثرياء ومنظمات لجمع المال ووسائل الاعلام لا سيما نيويورك تايمز وهوليود وشبكات التلفزة الرئيسية ومن رؤساء نقابات العمال وصناديق معاشات التقاعد ... وهناك تداخل في هذه الهيئات الداعمة ، حيث ان اللوبي الاسرائيلي يعمل مع قادة الكونغرس بشكل وثيق لضمان معونة عسكرية واقتصادية أميركية طويلة الأمد وعلى نطاق واسع لاسرائيل .

استطاع اللوبي أن يوهم أميركا بأنه يعمل ذلك خدمة لمصالح أميركا ، انما **السؤال الذي** ربما يغير المعادلة بعد هجمات 11 أيلول **وينبغي على أميركا طرحه : لماذا استهدافها بنار الارهاب ؟ لأنها تدعم اسرائيل وهذا ما تعلن عنه الحركات الأصولية صراحة (عبّر عن ذلك أسامة بن لادن في أحاديث عديدة له).** هل يدفعها ذلك الى تغيير سياستها تجاه العالم العربي والفلسطيني خصوصاً ؟ هل ستمارس الادارة الأميركية الضغط على اسرائيل لوضع حدٍ لهذا الاقتتال الدموي ؟ هل ستتطالب بانشاء دولة فلسطينية ذات سيادة ؟ هل ستخفف من تدخلها في الشوؤن الداخلية لهذه البلدان ؟ هل ستحد من تدخلها العسكري ؟ هل ستتفادى مصادر النفط وأرباحه ... هذه الأسئلة تسمح للمنظمات الارهابية أو بالاحرى تعطيها الحجج المنطقية للاستمرار بما تقوم به من عمليات ارهابية وغيرها لمواجهة هذه الدول القوية . ومن ناحية أخرى يمكن طرح التساؤل هل يمكن أن تكون اسرائيل وراء أحداث 11 أيلول لتجنيد جهود أميركا في القضاء على الارهاب الذي تعتبر أهم مصادره العالم العربي والفلسطيني . كما أنه بعد أحداث 11 أيلول برزت وجهات نظر مختلفة بين بوش وشارون إزاء المسألة الفلسطينية .

وبعد 11 أيلول اعتمدت أميركا سياسة التغيير في استراتيجيتها الى "الموازنة البعيدة عن الشاطئ" لأسباب عدة لا سيما منها التخفيف من الحروب الدموية المكلفة لكن لا تلغيها عند الحاجة ، تكتيك مبرمج في القضاء على الارهاب ومحاولة استيعاب ايران لعدم التفرط بمنطقة حيوية مثل الخليج الفارسي .
ازاء المصالح الأميركية هذه ، واستمرار اسرائيل بعدم منح الفلسطينين دولة ، ينبغي على أميركا أن تُغير في مسلكيتها حيال هذه الدولة لأنها الأكثر مطالبة للحرية والديمقراطية والمبادئ والقيم السياسية . انما يبدو ذلك مستحيلاً بسبب استخدام اللوبي كل الوسائل المتاحة لعدم قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة .

إمكانية إضعاف اللوبي الاسرائيلي

السؤال الذي يتبادر الى الذهن **هل من المستحيل اضعاف هذا اللوبي ولمَ صعوبة التعامل معه ؟**
قد تتقلص نفوذ اللوبي اذا تم تخفيض الدعم المادي الأميركي له ، التخفيف من التدخل المباشر في الانتخابات الرئاسية ، مقاومة تأثيره العلني والواضح في السياسة الداخلية والخارجية ، المواجهة في الاعلام لابراز نقاط الضعف في استراتيجيته ... في المقابل **لا يمكن الحد من سطوته الا في حال بروز أي لوبي منافس له** . ويمكن القول إن الأسباب الكامنة وراء قوة اللوبي تشكل سلسلة متكاملة من الصعوبة تفكيكها ، انما يبقى عنصر المال عصب القوة التي يرتكز اليها إن في الحملات الانتخابية لرئاسة الجمهورية في أميركا أو الضغط على وسائل الاعلام لترويج ما يخدم مصالحه . واذا تمّ في المستقبل على المدى المنظور تنظيم المساهمة الانتخابية قد يحد ذلك من سيطرته ، وبالتالي تصبح الآفاق السياسية أكثر انفتاحاً لتحديد أو تكوين الرأي العام بعيداً عن الذين يتمسكون بالسلطة .
ويبقى التحدث في عملية اضعاف اللوبي في الاطار النظري لانعدام انشاء لوبيات أخرى مؤثرة لا سيما منها اللوبي النفطي ومدى تأثيره على السياسة الخارجية أو الأمن القومي ، هذا عدا عن القضية المركزية التي كانت السبب في إنشائه إن عقائدياً أو سياسياً ، هذا العامل قد لا يمكن وإن نشأت لوبيات موازنة له أن تستحوذ على الاستعطاف الدولي خصوصاً الدول العظمى ومنها أميركا التي تقدم الدعم المالي غير المشروط الى اللوبي من أجل اسرائيل ، والمفارقة هي أن هذه الأخيرة تستعمل هذا الدعم لمساندة المرشحين الذين يتم التأكد من ميولهم ودعمهم لقضية اسرائيل حتى ولو أن القرارات التي قد يتخذونها في السمتقبل لا تتلاءم ومصلحة أميركا العليا .
وعليه ، فإن قوة هذ اللوبي قد تكون ناتجة عن عدم وجود جماعات أو قوى معتدلة تبرز آراء مختلفة عن التي يناضل من أجلها اللوبي ، أو في ابراز الوجه الانفتاحي والحوار التعددي ، للحد من سيطرة مجموعات المصالح الخاصة المتشددة أمثال الأيباك ، المنظمة الصهيونية الأميركية واللجنة الأميركية اليهودية وغيرها ... من المجموعات التي تؤلف اللوبي ، وعدم الجرأة في انتقاد اسرائيل علنياً في أي من المواقف التي تتخذها.
قد تظهر مجموعات في العديد من الدول أقل تشدداً وأكثر انفتاحاً من اللوبي ، في أوستراليا مثلاً تأسست منظمة "الأصوات الأوسترالية اليهودية المستقلة" وفي بريطانيا تأسست مجموعة على غرار هذه تدين كل الأعمال التي لا تحترم حقوق الانسان وفي ألمانيا أيضاً ارتفعت أصوات تندد بالسياسة التي تنتهجها بعض مجموعات اللوبي . وانما **تبقى الهالة العظمى التي يتمتع بها اللوبي هي الأقوى والأفعل والأكثر تأثيراً على مصالح أميركا القومية والقيم الانسانية التي تحترمها ... ولا يمكن التغاضي عن هذا الواقع الذي يحصد للوبي نفوذاً لا مثيل له وإن جاء تأثيره ايجاباً أو سلباً .**

هذا اللوبي يعرف أن لأميركا مصالح مهمة في الشرق الأوسط منها تدفق النفط الى السوق العالمي ، ولجم انتشار أسلحة الدمار الشامل واستيعاب الذين يعاندون السلطة الأميركية انما كانت تأتي سياسته غير متوافقة مع هذه المصالح ، ما أدّى الى ضرر كبير على استراتيجية أميركا السياسية في المنطقة أو غيرها من الدول دون أن يكون لها القدرة على الاعتراف بذلك علناً ، لأن الهدف الأساس هو توجيه قوة أميركا الضاربة نحو

الدول التي تشكل عبئاً أو خطراً على اسرائيل . **وتعمل القِوى الفاعلة في اللوبي على انتاج أرضية مجتمعية في أي بلد داعمة لفكرتها القائمة على عدم قيام أية تسوية مع الفلسطينين بانشاء دولة ، فتخلق بذلك انقساماً في المجتمعات بين مؤيد ومعارض للفكرة** . كما يعمل دوماً على استغلال القوة العسكرية التي تتمتع بها أميركا على مواجهة أعداء اسرائيل الاقليميين منها ايران (أسلحة نووية) والعراق سابقاً (النفط) وربما سوريا ، باحتواء هذه الدول - التي تشكل خطراً على اسرائيل- بقيام معاهدات سلام في أفضل الشروط الممكنة . وفي العلن تعمل ذلك بهدف نشر الديمقراطية ومواجهة الارهاب الذي يهدد أصقاع الدنيا ، هذه مميزات تجلب العديد من الدول المؤيدة لهذه السياسة لأنها من أبسط مقومات حقوق الانسان والتي تثير العواطف إزاءها . وفي هذا المجال تدعو أميركا ومن ورائها اسرائيل الى نزع سلاح حزب الله في لبنان انما لا يتحقق هذا الا عبر سوريا وايران اللتان تدعمان هذا الحزب بالسلاح والمال .

خاتمة

إن اللوبي الاسرائيلي لا يزال القوة-المؤثرة في صنع القرار السياسي الأميركي لما يتمتع من نفوذ قلّ نظيره في بلدان العالم .

إن مسألة قوة اللوبي حاسمة . يخطط لقضية واحدة ويعمل لتحقيقها . يشكل احدى أقوى مجموعات المصالح في أميركا لأن المرشحين الى المناصب العليا يصغون الى رغباته بعناية اذا أرادوا تحقيق النجاح ، وهم يعرفون بالتالي إن أي سياسي يعترض على سياساته لا يملك حظاً وافراً في أن يصبح رئيساً .

لا تزال أميركا تستمر في دعمها لاسرائيل ، علماً أنها مستهدفة من المنظمات الارهابية بسبب هذا الدعم المتتابع . وهي لم تُعدّل بسياستها حتى الان وغير قادرة على انهاء النزاع الفلسطيني – الاسرائيلي ، ومتابعة الحوار مع ايران ، الى القضايا الدولية الأخرى التي يتحكم بها نفوذ اللوبي .

هكذا فإن اللوبي ينشط من خلال المنظمات التي تنتمي إليه في صياغة السياسة الخارجية الأميركية التي تضمن مصالح اسرائيل . وظهر جلياً من خلال البحث قدرة تأثير اللوبي في توجيه مسار السياسة الخارجية تبعاً لما تقوم به أميركا في دول الشرق الأوسط والعالم . وظهر جلياً أيضاً أن أميركا تقوي اللوبي بشكل أو بآخر بسبب تقديم الدعم دون المساءلة .

لكن السؤال المطروح ماذا ستفعل أميركا – الدولة العظمى – إزاء السياسة الخارجية ، فقدان الأحادية القطبية، الانتشار النووي ، النشاط العسكري حول العالم ، الحرب على الارهاب وميزان القوى في المنطقة والأزمة المالية .

ويبدو أن امتلاك السلاح النووي في حد ذاته يشكل معضلة أخلاقية على المستوى العالمي بغض النظر عمن يمتلكه ، فكيف إذا كانت إسرائيل هي التي تمتلكه ولا تجد انتقاداً أو تحدياً من الدول الغربية خصوصاً الولايات المتحدة ؟

ويبدو أن دولاً عربية مثل مصر تسلط الضوء على المفاعل النووية الاسرائيلية وتعتمد استراتيجية "شد حبال" مع الولايات المتحدة إذ قال الناطق باسم الحكومة المصرية "إن مصر لن توقع اتفاقيات إضافية تحظر النشاط النووي، وإن السلاح النووي الإسرائيلي لا يقل خطورة عن السلاح النووي الذي يمكن أن تمتلكه

إيران" . وها هي الصين تشكل قوة عظمى تعمل على مد وجودها الاقتصادي والتقني والسياسي إلى مناطق عدة بخاصة إلى أفريقيا.

فماذا سيفعل أوباما؟ هل لديه سياسة واضحة بهذا الخصوص، أم سيستمر في سياسة "اللا موقف " ؟ لأن التصريحات التي صدرت حتى الآن لا تشير إلى تغيير جوهري في السياسة الأميركية من حيث إنها ما زالت تحذر إيران ولا تأتي على ذكر البرنامج النووي الإسرائيلي، على الرغم من أن باب الحوار مع طهران قد يعلن فتحه بعد فرض العقوبات عليها . أضف الى ذلك أن أوباما يصطدم بالسلاح النووي الإسرائيلي الذي يشكل أكبر إحراج للغرب داخل الأروقة الدبلوماسية ، والذي يشكل نقطة جدلية كبيرة لصالح الساعين للحصول على سلاح نووي بخاصة إيران وكوريا الشمالية ، أو على الأقل تطوير قدرات نووية سلمية .

بكلمة

ان عبرة تحكّم اللوبي الاسرائيلي بشكلٍ مهم في صياغة السياسة الاميريكية وربما لدى أي دولة فاعلة على الساحة الدولية مستقبلياً وبصرف النظر عن أحقيتها او عدمها ؛ اقلّه في الشرق الاوسط اليوم ... ان ذلك هو برسم اللبنانيين للقول ، ان أي شعب في العالم لا يحصل على مطالبه ولو جزئياً الا اذا ثابر وعمل بشكلٍ متواصل وعلى كافة الصعد على متابعة قضاياه وخاصة المحقّة منها وبواسطة تضامنه حول وطنه ومواطنيته ، فأين اللبنانيين اليوم وهم القادرون على اكثر من ذلك ؟

إنه سؤالاً برسم اللبنانيين مواطنين ومسؤولين على حد سواء .

الهوامش

1- خلاصة ما توصل المؤلفان :

walt , Stephan ; Mearsheimer, John “ the Israel Lobby and the US Foreign Policy”.مترجم : " اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية" ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – الطبعة الثانية ، بيروت 2009 ، ص 174 – 178 . وكذلك المراجع :

- عربيد ، مسعد – مقالة بعنوان "العرب بين اللوبي الاسرائيلي ولوبي رأس المال" – مجلة الحوار المتمدن – العدد 1790 بتاريخ 2007-1-9 .

- Article intitulé “ Israél accroît presence militaire en Amérique latine “ voltaire internationale – 2 novembre 2009 .

2- ميرشايمر ، جون ووالت ، ستيفن ، المرجع ذاته ص 172- 173 .

3- بتراس ، جايمس – "سطوة اسرائيل في الولايات المتحدة الأميركية" – ترجمة حسان البستاني – الدار البيضاء للعلوم – ناشرون – ص 68 .

4- Article sur l'ouvrage " Sarkosy , Israél et les juifs " par Thierry Meyssan . Voltaire 27 mai 2009 .

5- أباه ، السيد ولد وشفيق ، منير – مستقبل اسرائيل – دار الفكر، دمشق 2001 – ص 52-53 .

6-المراجع التالية :

- Seither , Grégoire " quelle est l'influence du Lobby israélien aux états – unis"- edition 2006.

- Meyssan , Thierry " affaire Hariri : après la Syrie , le Hezbollah et l'Iran mis en accusation" – edition 2009 .

- article intitulé"le lobby israélien en appelle au congrès US pour stopper le process Ergenekon en Turquie – réseau Voltaire internationale – 20 novembre 2009 .

7- عربيد ، مسعد – مقالة بعنوان "العرب بين اللوبي الاسرائيلي ولوبي رأس المال" – المرجع السابق .

8- منصور، جوني "اسرائيل الأخرى رؤية من الداخل" الدار العربية للعلوم ، بيروت 2009 – ص 68.

9- ميرشايمر ، جون ووالت ، ستيفن ، المرجع السابق ص 211 .

10 - فهيم ، فائق – "اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية، ما اللوبي الاسرائيلي "- الصحيفة الاقتصادية الإلكترونية 2009 .

11- بتراس ، جايمس – "سطوة اسرائيل في الولايات المتحدة الأميركية" ، المرجع السابق – ص 39.

12- بتراس ، جايمس – المرجع السابق – ص 42 .

13- هذا ما تمّ استنتاجه من سلسلة مقالات تناولت نفوذ اللوبي الاسرائيلي ومصادر قوته ومنها :

- Abourezek, James "Apropos de votre etude sur Noam Chomsky " edition 2006.

- Muller , Karl – " L'allemagne et israél viennent – ils de signer des accords secrets?" edition 2010 .

- Seither , Grégoire " quelle est l'influence du Lobby israélien aux états – unis"- edition 2006

14- نعمة ، ميشال – " الولايات المتحدة : التلاعب في معايير العلاقات الخارجية" – مجلة الدفاع الوطني اللبناني – العدد كانون الثاني 2009 – ص 32 .

15- بتراس ، جايمس – المرجع السابق – ص 72 – 73 .
16- ميرشايمر ، جون ووالت ، ستيفن ، المرجع السابق - ص 407 .
17- ميرشايمر ، جون ووالت ، ستيفن – المرجع السابق .

18- يوشع هولاند "هارفارد تعارض اللوبي الإسرائيلي "- من (AlterNet) 4 نيسان 2006 .

19- خليل ، حسين – "قضايا دولية معاصرة" – دار المنهل اللبناني .

20- منصور ، جوني – "اسرائيل الأخرى رؤية من الداخل"- الدار العربية للعلوم – بيروت 2009 – ص 130 .
21- بتراس ، جايمس – المرجع السابق – ص 63 .
22- منصور ، جوني – "اسرائيل الأخرى رؤية من الداخل"- الدار العربية للعلوم – بيروت 2009 – ص 212 .
23- لين كارل ، تيري – "مخاطر الدولة النفطية" ترجمة عبدالاله النعيمي ، دراسات عراقية – ص 96 .

24- خلاصة ما توصل اليه :

-عبد القادر ، نزار – مقالة بعنوان "خيارات الانفتاح الأميركي على ايران وسط تشكيك ايراني ورفض اسرائيلي ومخاوف عربية"- مجلة الدفاع الوطني – العدد السابع والستون – كانون الثاني 2009 .

-Blankfort, Jeffrey – article" l'influence du Lobby sur la politique des états-unis ".Voltaire edition internationale , 24 Août 2006

- Guigne , Bruno " quand le lobby pro – israélien se déchaine" – réseau Voltaire internationale- 24 mars 2008 .